



1- بطاقة التعريف المختصرة:

* اسمها: أُم القرآن - السبع المثاني - القرآن العظيم - أُم الكتاب - فاتحة الكتاب - الحمد - الفاتحة - الواقية - الكافية - الشافية - الشفاء - الأساس - السؤال - المسألة - الصلاة - الشكر - الرقية - الدعاء - سنام القرآن - الكنز - الثناء - التفويض - النور - المنجية...

* عدد آياتها: 7 آيات " {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} " (الحجر: 87) .

* **ترتيبها نزولا:** نزلت بعد المدثر وقبل المسد ، فهي خامس سور القرآن المكي نزولا ، على خلاف كبير في تاريخ نزولها ، فمن قائل إنها أول سور القرآن نزولا ، ومن قائل إنها مدنية ومن زاعم أن نصفها مدنية ونصفها مكي ، ومن قائل إنها نزلت مرتين أو لاهما بمكة والأخرى بالمدينة ، وال الصحيح الذي لا مريء فيه أنها نزلت بمكة لقول الله تعالى في سورة الحجر " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " ، ولم يقع اختلاف في مكية سورة الحجر ، قال الإمام أبوالحسن الواحدي: " ولم يكن الله ليمنت على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة، ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بمكة بضع عشرة سنة يصلى بلا فاتحة الكتاب " [1].

يقول أبوالحسن بن الحصار:

"عارض النقل في أُم الكتاب وقد *** تؤولت الحجر تنبئها لمعتبر
أُم القرآن وفي أُم القرى نزلت *** ما كان للخمس قبل الحمد من أثر" [2]

* **فضلها:** عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّمِ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ أَصَلَّى فَدَعَانِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ أَجِدْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَلَّى.

قال: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ {اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ}", ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَعْلَمُ أَعْظَمَ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ؟"

فَأَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَا عِلْمَنَاكَ أَعْظَمَ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ.

قال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبَعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتُهُ" [3].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع نقضا من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتينهما لم يؤتئهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته" [4] ، ومن المعلوم أنها ركن من الصلاة ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [5]

* **ظروف نزولها:** في بداية نزول الوحي حيث لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تلقى كثيرا من القرآن جاءه جبريل - عليه السلام - بفاتحة الكتاب، في جويدا فيه المشركون يتوجسون خيفة من هذا الجديد الذي لم يألفوه، جاءه بالسورة الكريمة لتكون النبراس الأولي والمنهج الأكمل رغم إيجازها وقصرها، حيث طالت كافة مجالات القرآن العظيم، واشتملت على شتى مقاصده، فتناولت أصول الدين وفروعه، ولزوم الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وبشرت بالتوحيد الذي لا يكون إلا بإفراده جل شأنه بالعبادة من دعاء واستعانة وتوكل، والتوجه إليه جل وعلا بطلب الهدى إلى الدين القويم، وانتهاج المنهج الكريم الذي سار عليه ركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إضافة إلى لزوم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره والاعتقاد باليوم الآخر، وقد أنارت السورة الكريمة سبيلا للنجاة بالتضرع إليه سبحانه بالتبني على الإيمان ونهج صراط الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وبذلك احتوت قصص الأمم السابقة، وتضمنت أخبار اللاحقة؛ فنوهت بمدارج السعداء، وحضرت من مدارك الأشقياء، وحضرت مصدر التعبد والتشريع في رب السماوات والأرض وحده سبحانه، فكانت إعلانا من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بإقامة منهج التوحيد حياة وسلوكا ودعوة.

2) المقدمة:

لقد اشتملت سورة الفاتحة على جماع ما ورد في القرآن الكريم ؛ بل اشتملت على ما في الكتب السماوية المنزلة من الأصول والمعاني، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا يُروى: أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِائَةً كِتَابٍ وَأَرْبُعَةَ كُتُبٍ جَمَعَ عِلْمَهَا فِي الْكُتُبِ الْأَرْبُعَةِ وَجَمَعَ الْكُتُبَ الْأَرْبُعَةَ فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ عِلْمَ الْمُفَصَّلِ فِي فَاتِحةِ الْكِتَابِ وَجَمَعَ عِلْمَ فَاتِحةِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}" [6].

وعلى ذلك استفتح بها القرآن العظيم، وأنطط بها تمام صلاة المسلمين، تبدأ السورة بحمد الله تعالى والثناء عليه تأكيدا على أن الحمد له وحده جلت عظمته وأنه وحده المختص بالإلهية والربوبية، ثم تذكر صفتين من صفات الخالق العظيم وهما صفتا الرحمن والرحيم. ثم تقرر مالكية الله تعالى ليوم الدين تقريرا لعقيدة الجزاء والمعاد. ثم تبين أن العبادة محصورة في الله تعالى وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه ولا إلهية إلا له وحده ولا مؤمل بالدعاء غيره ولا مرجوسواه ولا استعانة إلا به ولا مستهدى لطريق المنعم عليهم إلا هو جلت عظمته، ولا مستعاذ من سبل الغواية والضلال إلا هو جل شأنه.

(3) من أهم المحاور التي ركزت عليها السورة: لقد تناولت سورة الفاتحة أربعة محاور رئيسة:

* المحور العقدي:

لقد دعت السورة الكريمة للاعتقاد بالله واحتياصه جل شأنه باستغراق الثناء والحمد، كجزء من التعريف به جلت عظمته واعتقاد أنه المنعم المجازي الذي إليه المرجع والمعاد، فلا شريك له ولا نظير، وتجسد هذا المحور في قوله تعالى "الحمد لله

رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين" ، فهو سبحانه مصدر كل أمر يستوجب الحمد فهو الخالق المبدئ المعبد المربى بكل الآلاء والنعم.

* المحور العبادي:

لقد دعت السورة الكريمة إلى توجيه العباد بعبادتهم إلى الله وحده عز وجل ، وأنه لا مألوه بحق سواه فكان ذلك اجتناثاً لجذور الشرك و الوثنية التي كانت قد ضربت أطنابها في أرجاء المعمورة ، وإراسء لتوحيد الألوهية الذي يعد أهله ما جاء من أجله الدين ، وهذا المحور يتمثل في قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ .

* المحور المنهجي:

وهو الذي بينت السورة من خلاله سبيل السعادة الذي هو مهيم النبئين والصديقين والشهداء والصالحين من استمسك به حاز نعم الدنيا والآخرة ومن زاغ عنه باء بالخسران فيهما، وتمثل هذا المحور في قوله تعالى "اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ".

* المحور الاعتباري أو القصصي:

وعن طريقه أوضحت السورة الكريمة مآل الموحدين الواقفين عند حدود الله تعالى الآخذين بأحكام شرعيه ، وعاقبة المشركين المتعدين لحدود الله تعالى النابذين لأحكام دينه ، وجاء هذا المحور ملخصا في قوله تعالى "صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الظَّالِمِينَ".

4) من هدایات السورة:

* لقد جمعت سورة الفاتحة مقاصد الدين ومحتويات القرآن "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" ، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم لرافع بن المعلى رضي الله عنه "لأعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن" ، وما إن ينتهي صلى الله عليه وسلم من ذلك التنوية بمكانة السورة حتى يضيف "الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتته" [7] ؛ ليرفع بهذه الإضافة الستار عن المنزلة العظيمة التي تتبوأها السورة الكريمة .

* الفاتحة شفاء من الأمراض القلبية، وشفاء من الأقسام البدنية؛ كما جاء في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السأم» [8] . ، والسر في ذلك: أن القرآن كله شفاء عام، فهو شفاء لأدواء القلوب من الجهل والشك والرَّيْبِ وغير ذلك، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ } [يونس:57]. وهو أيضاً شفاء لأدواء الأجسام، وقد وصفه الله عز وجل بأنه شفاء مطلق في غير موضع، فقال تعالى: { قُلْ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ } [فصلت:44]، وقال تعالى: { وَنَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الإسراء: 82].

فالقرآن كله شفاء، والفاتحة أعظم سورة فيه، فلها من خصوصية الشفاء ما ليس لغيرها، ولم ينزل العارفون يتداوون بها من أقسامهم، ويجدون تأثيرها في البر والشفاء عاجلاً [9]، هذا إضافة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حين روى بالفاتحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "وما يدركك أنها رقية؟" ثم قال: "قد أصبتم أقساموا واضربوا لي سهما" [10] .

* لقد جاءت الفاتحة لتعق العقل البشري من أدران الشرك وتحرر من سخاف الخرافية وترتبط الضمير الحي بخالقه وتنقذه من التخبط في أتون الأساطير والأوهام وتبعده عن الزيف والضلال وتركتز فيه عقيدة التوحيد وتوجهه إلى الخالق الديان وتوصل فيه إلى الإخلاص لرحمـنـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ وـرـحـيمـهـماـ، فيـزـدـادـ المؤـمـنـ إـيمـانـاـ وـصـلـةـ بـرـبـ الـعـالـمـينـ كـلـماـ تـلـاـ هـذـهـ السـوـرـةـ وـتـكـشـفـتـ لـهـ أـسـرـارـهـ إـذـ هـيـ أـعـظـمـ وـحـيـ نـزـلـ ،ـ كـمـاـ فـيـ حـدـيـثـ أـبـيـ بـنـ كـعـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ-ـ:ـ أـلـاـ أـعـلـمـ سـوـرـةـ مـاـ أـنـزـلـتـ فـيـ التـوـرـاـةـ وـلـاـ فـيـ الـإـنـجـيـلـ وـلـاـ فـيـ الـزـبـورـ وـلـاـ فـيـ الـقـرـآنـ مـثـلـهـ؟ـ قـلـتـ بـلـىـ قـالـ:ـ إـنـيـ لـأـرـجـوـأـنـ لـأـتـرـجـ مـنـ ذـلـكـ الـبـابـ حـتـىـ تـعـلـمـهـاـ فـقـامـ رـسـوـلـ اللـهـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ-ـ وـقـمـتـ مـعـهـ فـجـعـلـ يـحـدـثـيـ وـيـدـيـ فـيـ يـدـهـ فـجـعـلـ أـبـاطـأـ كـرـاهـيـةـ أـنـ يـخـرـجـ قـبـلـ أـنـ يـخـبـرـنـيـ بـهـاـ فـلـمـ دـنـوـتـ مـنـ الـبـابـ قـلـتـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ السـوـرـةـ الـتـيـ وـعـدـتـنـيـ فـقـالـ:

كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة ؟ فقرأت فاتحة الكتاب فقال: هي هي السبع المثاني التي قال الله عز وجل: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} الذي أعطيت [11].

5) من أبرز الأدلة التي استخلصت منها قواعد فقهية في السورة:

***الدليل 11:** "الحمد لله رب العالمين" وهو دليل لمجموعة من القواعد لا أجل ولا أعظم منها ؛ إذ تفيد أنه لا مستغرق لجميع أنواع المحامد إلا الله وحده لا شريك له ولا مستوجب لها إلا هوجل شأنه ، وأن الحمد لا يثبت إلا له عز وجل ، فله الحمد ابتداء وله الحمد انتهاء ، يقول جمال الدين القاسمي: " فهو ممود على كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية وحمد ثناء ومدح [12]، وقد ورد هذا الدليل بصيغ مختلفة في القرآن منها قوله تعالى: " {وهو الله لا إله إلا هو} الحمد في الأولى والآخرة" القصص: 70، قوله جل وعلا: " {فَلَلَّهِ الْحَمْدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ} " الجاثية: 36.

***الدليل 12:** "إياك نعبد" وهو دليل قامت عليه قواعد عظيمة تفيد أنه لا معبد بحق إلا الله وحده لا شريك له ؛ إذ الإلهية من خصوصياته جل شأنه، فال التالي لها يخشى ويدل ويسنكن لخالقه وحده، ويعلن براءته من كل أنواع الشرك، وقد وردت هذا الدليل في القرآن بصيغ مختلفة منها ما جاء في قوله تعالى: " {قُلْ إِنِّي أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لِّهِ الدِّينَ} " الزمر: 11، وقوله جلت عظمته: " {قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لِّهِ دِينِي} ".

***إياك نستعين:** 13 وهو دليل استفیدت منه قواعد جليلة تقتضي أنه لا يستعان إلا بالله وحده لا شريك له، يقول ابن رجب: " فمن أعاذه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله" [13]، وقد جاء بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: " {وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنُ...} " يوسف: 18، وقوله تعالى: " {وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعْنُ...} " الأنبياء: 112.

6) قصة وهدف:

عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: **بَيْنَمَا جِرْبِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فُوقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتَحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا يَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكُ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزُلْ قَطُّ إِلَّا يَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتُهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِّحُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأْ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتُهُ" [14]**

إن هذه القصة تكشف لنا جانبا من عظمة الفاتحة وناحية من فضلها وعلما من شرفها...باب من السماء يفتح لأول مرة وملك ينزل أول مرة، ذلك أن خطب السورة جل فد اشتغلت على أهداف ومعاني كافة الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن، كما بينت المنهج الرباني الذي من التزمه نجا ومن نكبه هلك.

7) الخاتمة:

لقد اقتضى تضمن هذه السورة الكريمة لكافة جوانب المنهج الإسلامي الأمر بتكرارها على أقل تقدير سبع عشرة مرة خلال أربع وعشرين ساعة في الصلاة المفروضة، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" [15]، وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداع - ثلاثا - غير تمام" ، فقيل لأبي هريرة - رضي الله عنه - إننا نكون وراء الإمام؟

قال: أقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين ولعبيدي ما سأله فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثني على عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجندي عبدي (وقال مرة فوض إلى عبدي) فإذا قال إياك نعبد

وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأله فإذا قال أهدا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبي ولعبي ما سأله [16]

هكذا تؤجج السورة في متبرها روح العبادة وتشرب قلبه خشية رب العالمين وتذكري فيه رجاء الرحمن وتشده إلى التوكل على الرحيم، وتقوده إلى التعلق بمنهج الصالحين، وتدعوه إلى الحذر من نزغات المقصرين ونزعات الغالين.

[1] الوحدى ، أسباب النزول ص: 56

[2] الإتقان (4411) [2]

[3] البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب ح(5006)

[4] أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح (806)

[5] أخرجه البخاري كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ح (756) ، و مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة..... ح (394)

[6] مجموع الفتاوى (607) [22]

[7] أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب ح (4474) .

[8] أخرجه الدارمي في سنته (3370) من مرسى عبد الملك بن عمير ، وصحح إسناده حسين سليم أسد ، وفي شعب الإيمان للبيهقي (2370) ، وفيه أيضا (2368) موصول من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ "فاتحة الكتاب شفاء من السُّمِّ"

[9] تفسير الفاتحة لابن رجب ص: 21

[10] أخرجه البخاري كتاب الإجارة باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب ح (2276) ، و مسلم كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ح (2201)

[11] أخرجه الإمام مالك في موطنه في باب ما جاء في أم القرآن (186) ، والحاكم في المستدرك في أخبار فضائل القرآن (2048) ، وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .. وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى في باب تخصيص فاتحة الكتاب بالذكر (970)

[12] محسن التأويل (1) [226]

[13] جامع العلوم والحكم ص: 232

[14] أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح (806)

[15] أخرجه البخاري كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ح (756) ، و مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح (394)

[16] أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة..... ح (395)

البيان

المصادر: